بسم اللـه الرحمـن الرحيـم

واضرب لهم مثلا - الحلقة : 25 - ولو شاء ربك لآمن من في الأرض كلهم جميعا

19-05-2020

مقدمة :

بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد لله رب العالمين ، نحن مع برنامج جديد عنوانه : "واضرب لهم مثلاً"، يقول تعالى في كتابه الكريم :

﴿ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾

[سورة الحشر : 21]

ويقول أيضاً :

﴿ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ ﴾

[سورة العنكبوت : 43]

فضرب المثل منهج قرآني أصيل ، يتبعه القرآن الكريم لإيصال الحقائق إلى الناس .

أخوتي الأكارم ؛ أخواتي الكريمات ؛ أينما كنتم بتحية الإسلام نحييكم ، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، نحن معاً في حلقة جديدة من برنامجنا : "واضرب لهم مثلاً" .

رحبوا معي بفضيلة شيخنا الدكتور محمد راتب النابلسي السلام عليكم ورحمة الله سيدي .

الدكتور راتب :

وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته ، ونفع الله بكم ، وأعلى قدركم .

الدكتور بلال :

وأعلى قدركم سيدي ، جزاكم الله خيراً .

سيدي الآية اليوم التي تحتاج توضيحاً ومثلاً ، هما آيتان بالمعنى نفسه ، الأولى في سورة يونس :

﴿ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَنْ فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعاً ﴾

[سورة يونس : 99]

يوجد آية ثانية في الرعد :

﴿ لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَهَدَى النَّاسَ جَمِيعاً ﴾

[سورة الرعد : 31]

السؤال الذي يتبادر إلى الذهن : لماذا لم يهدِهم جميعاً ؟

الهدى القسري لا قيمة له :

الدكتور راتب :

لا بد من مثل ، وهذا اللقاء الطيب لقاء أمثال ؛ رئيس الجامعة لو وزع على الطلاب أوراق الإجابة مطبوع عليها الإجابة الكاملة بالزاوية العليا مئة بالمئة ، الأوراق وزعت ، كتب الطالب اسمه ، والجميع نجحوا ، هذا النجاح لا قيمة له إطلاقاً ، لا عند الطلاب ، ولا عند الأولياء ، ولا عند الناس ، ولا عند الجامعة ، هذا معنى :

﴿ لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَهَدَى النَّاسَ جَمِيعاً ﴾

[سورة الرعد : 31]

أنا اجتهدت اجتهاداً متواضعاً سميته : الهدى القسري ، لا جدوى منه ، ما قيمة هذا النجاح ؟ لا عند الناس ، ولا عند أهل العلم ، ولا عند الطلاب ، ولا عند الآباء ، هذا نجاح ساقط .

الدكتور بلال :

لا قيمة له .

الدكتور راتب :

أما إن كان هناك دراسة ، وتحضير ، ودوام سنة ، وضبط دوام ، وكتابة الواجبات المدرسية ، و الإصغاء للمدرس ، حفظ ، درس ، ارتقى ، فلابد من امتحان ، والامتحان قدرنا ، والامتحان لا بد منه ، والله قال :

﴿ إِنْ كُنَّا لَمُبْتَلِينَ ﴾

[سورة المؤمنين : 30]

الابتلاء حيادي ، قد تنجح في الابتلاء ، وسيدنا موسى :

﴿ وَفَتَنَّاكَ فُتُوناً ﴾

[سورة طه : 40]

ونجحت في الفتنة .

الدكتور بلال :

والفتنة مثل الابتلاء ، امتحان .

الإنسان هو المخلوق الأول رتبة المكلف والمكرم :

الدكتور راتب :

نعم امتحان ، فأنت يجب أن تعرف كليات الدين ، يوجد كليات ، أنت المخلوق الأول ، المكلف ، المكرم، أنت أول مخلوق من المخلوقات ، لأنك في عالم الأزل قبلت حمل الأمانة .

﴿ إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ﴾

[سورة الأحزاب : 72]

فلما قبلت حمل الأمانة كنت المخلوق الأول رتبة ، والمكلف ، والمكرم .

﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آَدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً ﴾

[سورة الإسراء : 70]

الشهوات إما أنها قوة دافعة أو قوة مدمرة :

الآن أنت كائن متحرك ، أودع فيك الشهوات ، لترقى بها إلى رب الأرض والسماوات ، أعطيت العقل، أعطيت الفطرة ، أعطيت المنهج .

تقريباً : هذه الشهوات مئة وثمانون درجة ، شهوة الطعام والشراب ، شهوة المرأة ، شهوة التفوق ، هذه الشهوات سمح لك بها الإله العظيم ، سمح لك بمئة وعشر درجات ، مئة وعشرين ، مئة وثلاثين ، هناك قسم محرم ، ما دامت في المسموح به فأنت في سلام ، أنت في راحة ، في أمن ، في طمأنينة ، فإذا تجاوزت بهذه الشهوات إلى المنطقة المحرمة وقعت في الشقاء .

أنا أقول دائماً : ما من شهوة أودعها الله في الإنسان إلا جعل لها قناة نظيفة طاهرة تسري خلالها ، صفيحة البنزين ، سائل متفجر ، وضع في المستودع المحكم ، وسال في الأنابيب المحكمة ، وانفجر في البستونات ، في المكان المناسب ، والوقت المناسب ، ولّد حركة نافعة أقلتك وأهلك في العيد إلى مكان جميل ، صفيحة البنزين نفسها صبها على المركبة أعطها شرارة ، أحرق المركبة ومن فيها .

فالشهوات إما أنها قوة دافعة ، أو قوة مدمرة ، الشهوات كلها هناك مساحة مسموح بها ومساحة ممنوعة، ما دمت تمشي على هذه المساحة .

بطولة الإنسان أن يبقى في اليقينيات لا في الشبهات :

عندنا شيء ثالث : الشبهات ، تصور نهراً عميقاً وكبيراً ، والذي يمشي على شاطئه لا يحسن السباحة ، هناك شاطئ مستو جاف ، و شاطئ مائل أملس ، فإذا مشى على الشاطئ الجاف أمن وأمان ، دخل إلى الشبهات ، احتمال الانزلاق احتمال كبير ، لذلك :

((فمن اتقى الشبهات استبرأ لدينه وعِرْضِهِ))

[أخرجه البخاري ومسلم وأبو داود والترمذي والنسائي عن النعمان بن بشير]

((ومن حام حول الحمى يوشك أن يواقعه))

[أخرجه أبو يعلى عن عمار بن ياسر]

فلذلك البطولة أن تبقى في اليقينيات لا في الشبهات ، وتبقى في العبادات لا في الشهوات .

الدكتور بلال :

إذاً سيدي ، هنا هذا الهدى القسري لا قيمة له ، لأن الاختيار هو الذي يثمن العمل .

الاختيار يثمن العمل :

الدكتور راتب :

﴿ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَنْ فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعاً ﴾

[سورة يونس : 99]

الدكتور بلال :

أما عندما يقدم الإنسان شيئاً بمحض إرادته .

الدكتور راتب :

باختياره ، دفع ثمنه .

الدكتور بلال :

يأخذ قيمته .

الآية الثانية في الموضوع نفسه سيدي ، أيضاً يتبادر إلى الذهن سؤال يحتاج إلى مثل :

﴿ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ ﴾

[سورة الجاثية : 23]

ولو شاء ربك لآمن من في الأرض كلهم جميعا

أنواع العلم :

الدكتور راتب :

العلم أنواع سيدي ، عندنا علم بخلقه ، فيزياء ، دكتوراه بالفيزياء النووية ، كيمياء ، رياضيات ، جغرافيا ، تاريخ ، جيولوجيا ، فلك ، هذا علم بخلقه ، يحتاج إلى معلم ، إلى كتاب ، إلى منهج ، إلى محاضرات ، إلى امتحان ، علم بخلقه ، نسمي المنهج والكتاب والمعلم والامتحان مدارسة ، هذا علم بخلقه ، وهناك علم بأمره ، كليات الشريعة ، الأزهر ، هذه الكليات أيضاً فيها جامعة ، وأساتذة ، وكتب مقررة ، وإلقاء محاضرات ، وامتحانات ، ونجاح ، ورسوب ، العلم بخلقه يحتاج إلى مدارسة ، والعلم بأمره يحتاج إلى مدارسة ، وهناك العلم به .

الدكتور بلال :

جلّ جلاله .

الدكتور راتب :

هذا أعظم علم ، العلم به له شأن آخر ، يحتاج إلى مجاهدة ، جاهد نفسك ، هذا الجهاد الأعظم ، جهاد النفس والهوى ، هناك غض بصر ، وضبط لسان ، وشاشة منضبطة بالبيت ، ولا يوجد اختلاط ، والدخل حلال ، والإنفاق حلال ، وهناك نشاط إيماني ، نشاط إسلامي ، نشاط دعوي ، هذا العلم بالله عز وجل يقتضي النجاح في الدنيا والآخرة .

الدكتور بلال :

سيدي الذي قصدته أنا جزاك الله خيراً موضوع العلم ، لكن :

﴿ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ ﴾

[سورة الجاثية : 23]

كيف أضله الله سيدي لو نوضح ذلك بمثل ؟

الضلال الجزائي مبني على ضلال اختياري :

الدكتور راتب :

أنا ذكرت هذا بالبداية ، تحمل دكتوراه ، لكن ما عرفت الله ، تحمل ماجستير لكن ما عرفت الحرام والحلال ، تحمل شهادة عليا لكن ما فهمت هذا الدين ، يوجد اختصاصات ، هذا علم بخلقه ، وقد تحمل اختصاصاً شرعياً لكن ما طبقت شرع الله ، العلم به عرفت الله .

((ابن آدم اطلبنِي تجدني فإذا وجدتني وجدت كل شيء))

[حديث قدسي]

الدكتور بلال :

إذاً أضله الله ضلالاً جزائياً .

الدكتور راتب :

نعم ، يوجد ضلال .

الدكتور بلال :

جزائي مبني على اختياره .

الدكتور راتب :

ضلال جزائي مبني على ضلال اختياري .

الدكتور بلال :

﴿ فَلَمَّا زَاغُوا ﴾

[سورة الصف : 5]

الدكتور راتب :

﴿ أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ ﴾

[سورة الصف : 5]

هذا الابن رفض الدراسة كلياً ، اختار ألا يدرس ، الآن نتائج هذا الجهل أصبح لا عمل له ، هذا ضلال جزائي مبني على ضلال اختياري .

﴿ فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ ﴾

[سورة الصف : 5]

الدكتور بلال :

إذاً لو قلنا مثلاً سيدي في المثل الذي تضربونه : رسب الطالب الكلام صحيح ، ولو قلنا : رسبت المدرسة الطالب الكلام صحيح .

الدكتور راتب :

كلاهما صحيح ، رسب عزونا تقصيره سبباً ، أما رسبناه فعزونا رسوبه علاجاً وجزاءً .

الدكتور بلال :

ولو شاء ربك لآمن من في الأرض كلهم جميعا

إذاً الفعل فعل الله ، لكن السبب من العبد فهذه :

﴿ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ ﴾

[سورة الجاثية : 23]

تعلق الإرادة الإلهية بالحكمة المطلقة :

الدكتور راتب :

الحقيقة الإنسان المطلوب منه الانبعاث للعمل ، لأن الله هو الموفق أيضاً .

الدكتور بلال :

سواء كان الانبعاث إلى عمل سيئ ، أو إلى عمل جيد ، والله إما أن يهديه أو يضله.

الدكتور راتب :

كل شيء وقع أراده الله ، لا يليق بألوهية الإله أن يقع شيء لا يريده ، وكل شيء أراده الله وقع معكوسة، الإرادة الإلهية متعلقة بالحكمة المطلقة ، والحكمة المطلقة متعلقة بالخير المطلق .

خاتمة و توديع :

الدكتور بلال :

جزاكم الله خيراً سيدي ، وأحسن إليكم .

أخوتي الأكارم ؛ لم يبقَ في نهاية هذا اللقاء إلا أن أشكر لكم حسن المتابعة ، سائلاً الله تعالى أن نلتقيكم دائماً وأنتم في أحسن حال ، إلى الملتقى أستودعكم الله الذي لا تضيع ودائعه .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته